# محور
# دراسات اللغة والأدب والدلالة

جولية

مجلة حولية المنتدى Hawlyat Al-Montada

I. S. S. N. Print :1998 - 0841 I. S. S. N. onlie :2958 - 0455 Doi 10.35519 /0828

# صورة الآخر القريب في كتاب الاعتبار لأُسامة بن منقذ في عصر الحروب الصليبية

# The image of the near other in the book Aliaetibar by Usama ibn Munqidh in the Era of the Crusades

م. د زينب مهدي صالح
مديرية تربية البصرة

أ.د. احمد حياوي السعد
جامعة البصرة - كلية الاداب

L.Dr. Zainab Mahdi Saleh
Directorate of Education in Basrah
IbdnI2086@gmail.com

Prof.Dr.Ahmed Hayawi Al saad
University of Basrah
College of Arts

تاريخ الإستلام: 2023/8/15 تاريخ القبول: 2023/10/11 تاريخ النشر: 2024/1/1

Recevied: 15 / 8 / 2023 Accepted: 11 / 10 / 2023 Published: 1 / 1 / 2024

الملخص:

تعنى هذه الدراسة بما قدمه اسامة بن منقذ لنا من صور داخلية لأسرته المقربين منه ، والذين يشكل حضورهم المرتبة الاولى في حياته ، فقد دون لنا أسامة عنهم بعض المشاهدات والتعاملات وهو بينهم يسمع ويسجل ويتفاعل معتمدا على ما ادخرته ذاكرته من صورهم فقد بدأ بمذكراته وهو في سن التسعين.

وما صور من الحياة الاجتماعية من عادات في الطب والمحاكمات وادين والعادات والتقاليد كما سجل لنا مشاهداته عن طرق الصيد وأنواع الحيوانات الداجنة

والغابات وقد كانت هذه الصورة هي نتاج خزين ذاكرته وما يمكن ان تتمثله عنها فالذكريات تمر عبر منظومة اسامة الاخلاقية والثقافية بمعنى أخر أن الصورة ليست هي الشخص نفسه إنما هي الشخص عبر مرويات وسرود ترسمه قوامة الكلمات فتخلق منه صورة مشابهة تتشكل من أسراب من الصور المتتالية والمتراكمة حتى يصعب فصلها عن واقع الشخص ذاته.

الكلمات المفتاحية :
صورة / الآخر/كتاب الاعتبار /أُسامة بن منقذ/ الحروب الصليبية

**Summary:**

This study focuses on what Usama ibn Munqidh has presented to us through internal portrayals of his close family, who constitute the foremost presence in his life. Usama has documented some observations and interactions with them, listening, recording, and interacting with them while in their midst. Relying on the images stored in his memory, he began his memoirs at the age of ninety.

The study delves into the social aspects of life, including customs in medicine, trials, religious matters, and traditions. Usama recorded his observations on hunting methods, types of domesticated animals, and forests. These images are the result of the treasury of his memory and what they can represent. Memories pass through the framework of Usama's ethical and cultural system. In other words, the image is not the person himself but rather the person through narratives and stories that depict him. It creates a similar image formed from swarms of successive and accumulated images, making it difficult to separate them from the reality of the person himself.

**Keywords**: Image, the Other, Aliaetibar book, Usama ibn Munqidh, Crusades

**Top of Form**

**المقدمة:**

الحمد لله الواحد الاحد ، الذي لم يجعل له شريك في الملك من خلقه أحد، وصل اللهم على محمد حبيبك ونبيك واله الاطهار ما أذن مؤذن ووحد ، الحمد لله الذي جعل لنا من ذريتنا قرة اعين وجعل لنا من أنفسنا ازواجنا نسكن إليها وجعل فيها المودة والرحمة : اما فقد

استطاع اسامة بن منقذ ان يرسم لنا صورة داخلية لأسرته المقربين منه ، والذين يشكل حضورهم المرتبة الاولى في حياته وهم تباعا والده ، وعمه أبو العساكر واولاد عمومته ووالدته وجدته واخوانه، وزوجته و أولاده . دون لنا أسامة عنهم بعض المشاهدات والتعاملات وهو بينهم يسمع ويسجل ويتفاعل معتمدا على ما ادخرته ذاكرته من صورهم فقد بدأ بمذكراته وهو في سن التسعين وأسامة ينحدر من اسرة قحطانية الاصل من كنانة كانوا من اهل بيت فيه الامارة والسماحة والفصاحة والفضل والادب ، يسكنون شيزر على نهر العاصي القريب من حماة في الشام ، وقبل ان يملكوا شيزر التي أقطعها لهم صالح بن مرداس كانوا يملكون الدور والاراضي في حلب عند جسر بني منقذ حيث ولد اسامة هناك في سنة ٤٤٨ للهجرة الموافق ١٠٩٥ للميلاد وهو أبنُ مُرشدِ بنُ عليِ بنُ مُقلدِ بنُ نصرٍ بنُ مُنقذٍ [1] نشا في كنف أبويه وعمه في وسط أسرة ورثت ما ورثته من الفروسية والعلم والأدب ، فقد كان العصر عصر قتال وحروب وغزوات من الصليبين والروم ، والاتراك وبعض قبائل العرب أيضا ، حاول أسامة من بين كل تلك الاحداث السياسية ان يسلط الضوء على أسرته في كتاب الاعتبار الذي جمع فيه الخبر والسرد والحكمة وصور لنا فيه عصره احسن تصوير كما صور لنا حروب بني منقذ مع الصليبين والإسماعيليين والاتراك وبعض قبائل العرب وصور الحياة الاجتماعية من عادات في الطب والمحاكمات والدين والعادات والتقاليد كما سجل لنا مشاهداته عن طرق الصيد وأنواع الحيوانات فشيزر غنية بالآجام التي تضم الفهود والاسود والنمور ، وغير من الحيوانات الداجنة والغابات ، ولكن أسامة نجح في إيصال صورة ما كان يدور في بيوت المنقذين ، وسلط الضوء على بعض شخصيات هذا البيت، وهذه الصورة هي نتاج خزين ذاكرته وما يمكن ان تتمثله عنها فالذكريات تمر عبر منظومة اسامة الاخلاقية والثقافية بمعنى أخر أن الصورة ليست هي الشخص نفسه إنما هي الشخص عبر مرويات وسرود

ترسمه قوامة الكلمات فتخلق منه صورة مشابهة تتشكل من أسراب من الصور المتتالية والمتراكمة حتى يصعب فصلها عن واقع الشخص ذاته [٢]

يتخذُ الحديثُ عن الآخر بصفتِهِ الانسانية في كتاب الاعتبار طابعا انثروبولوجيا ينمُ عن معايشةٍ وتفاعل ووعي كبير بالذوات الانسانية الأخرى ، اتاحته الحياة الطويلة التي عاشها اسامة وطريقة تنشئته البيتية ؛اضافة الى الظروف التي مر بها (لان الفهم التام للآخر لا يتحقق الا بالانغماس فيه عبر التجربة الواسعة )[٣] استطاع اسامة خلالها ان ينقل لنا صورا مكثفة لمجتمع كان يضطرب تحت مد الاحتلال الإفرنجي وجزر المقاومة العربية ، تتعدد فيه الطوائف والملل ، وتتفرق فيه الافكار والتيارات ، وتنخره الغزوات والاعتداءات ، بين القبائل العربية ؛ وبسبب ذلك كان هناك تفاعل اجتماعي بينهم ، وعمليات معقدة وغير ثابتة بدءً من قرار الدخول بتلك العلاقات ومرورا بأنشطة التأثير والتأثير بين الذات الفاعلة والجماعات المتفاعلة وانتهاءً بالنتائج التي تفضي اليها تلك العلاقات سلبا او ايجابا تحددُا خصائصُ الافراد المعنيينَ بالأمر ، والبيئةُ المحيطةُ بهم ، وكل ما تحملُه الانا من منطلقات الثقافيةٍ والدينية ، التي تتمثلُ في صورُ الآخر في دائرة الوعي [٤]

يسيطر الآخر الانساني في المستويات الثلاثة (القريب ، السياسي ، الأجنبي) على اغلبِ متن كتابه الاعتبار عند أُسامةُ بنُ منقذٍ تحكمُ مرجعياتِهِ مجموعةً من الضوابط - التي فرضتها اساليبُ التعاملِ مع الآخر- اولهُا مكانةُ الآخر الاجتماعية ، ثم طبيعة العلاقة والمواقف التي تربطُ الذاتَ بذلكَ الآخر واخيرا صفةُ الآخر ان كانت رسمية او غير رسمية . يستدعيها الواحدة تلو الأخرى بحسب ما ادخرته ذاكرته الشخصية من صور مؤثر واحداث - بقي صداها في نفسه - لا بحسب التسلسل الزمني للأحداث التي مرت به، فهو يذكر شخوصه ويتعامل معهم عبر استحضارهم بالذاكرة لأنه كتب الاعتبار بعد ما اقعدته

السنين وقد بلغ التسعين (**ولا يظنُّ ضانٌّ أنَّ الموتَ يُقدمهُ ركوبُ الخطرِ ، ولا يُؤخره شِدةُ الحذرِ ففي بقائي أوضحُ مُعتَبَرٍ فأنا من الأجلِ في حِصنٍ حصين إلى أنْ بلغتُ التسعينَ**) [٥] وبلوغهِ التسعين جعلَ مادتَهُ الحكائية تعتمدُ على بِنية الاستحضار واسترجاع الصور فجاءت اخبار على اربعة انواع : - يتصدرُ النوع الاول منها تمهيدا يتضمنُ حكمةً او يُلخص فكرةَ ما يريدُ سرده من موقفٍ أو حادثةٍ والصورةُ الثانيةُ يأتي بالخبرِ أولا ثُمَّ يُذيلُهُ بتعليقٍ معين يفصحُ عما تمثلتهُ الأنا عن الآخر ، والثالثةُ يجمعُ فيها الصورتين الاولى والثاني فيُمهدُ ويعلقُ في انٍ واحد اما الصورة الرابعة فيكتفي فيها بإيراد الخبر دون تمهيد او تعليق تاركا الحكمَ للمتلقي [٦] ونجد مثل هذه البنية بكثرة في اخباره التي ينقلها عن الآخر القريب او تلك الاخبار التي يلتزمُ فيها صفة الحيادية

**الآخر القريب :**

والمقصود بالقريب صلات الرحم او النسب التي تربط اسامة بمستويات مختلفة من العلاقات العائلية ، داخل الاسرة الواحدة ، بوصفها البيئة الاجتماعية الاولى والمهمة في إنتاج ادوار المشاركة الفعلية بين الانا والآخر القريب ، فهو لا يفك عرى هذا الارتباط وان سجل مشاهداته السلبية لأفراد عائلته المقربين عبر ذاتهِ التي تسعى جاهدة - كما تُبين النصوص- ان لا تكون خارج اطار المسميات العائلية لذا نراه متحرزا من نقل اي حوار متبادل معهم وهو يستجلي صورَهم ويُسهبُ بالأعجاب الشديد بهم محاولا ان ينقل لنا كلَ ما تمثلهُ من ايجابية تفرضها طبيعةُ المشاركة الاجتماعية وعلائق الدم والامتنان للتربية ، وهذا طبيعي بالنسبة لمجتمع يتعمد توريث التراث الثقافي في سلوك الطفل ، وتدريبه على طرق التفكير السائدة، وغرس المعتقدات الشائعة من السلوك العام في نفسه ، فينشا في جوٍ ملئ بهذه الاساليب والمعتقدات والافكار حتى تصبح من مكونات شخصيته[٧].

**١ـ والدُهُ**

ياخذ ذكرُ والدِه الصدارة في اغلب سيرة حياته فيما يصوره من احداث

تـأتي عـلى هيئـة وصَـفٍ وسَردٍ هـو اقـرب مـن الهتافـات والتمجيـد منهـا الى الـسرد للمواقـف وايـراد الأخبـار فيقـول في وصـف شـجاعته قائـلاً : ( **كان الوالـدُ - رحمـه اللـهُ - كثـيرَ المبـاشرةِ للحـربِ وفي بَدنـهِ جِـراحٌ هائلـةٌ ... وكان مُعظـمُ قِتالهـم مـع العـربِ في ذلـك الزمـان** ) [٨] ويصفُـه ايضـا مـن الاكابـر وهـو مبهـورٌ بصيدِه اشـدَ الانبهـار فيقـول : ( **شـاهدتُ مِـن الصيـدِ مـع هـؤلاءِ الأكابـرِ شـيئاً كثيراً ...ومـا رأيتُ مِثلَ صَيدِ والـد** ) [٩] وفي موضـع اخـر يقـول عـن ترتيبـهِ ( **ومـا رَأيـتُ قـطَّ مثـلَ صيـدِ والـدي وتَرتيبه** ) [١٠] ثـم يعـرج عـلى جـمال خطـه واهتمامـه بالقـران ونسـخه وغريبـه وكانـه يحـاول ان يعـد لنـا فضائلـه الواحـدة تلـو الأخـرى لأنـه يعلـم ان صـورةَ الاب التـي تحمـل الفضيلـة بوصفهـا معـادلا موضوعيـا لشـخصية الاب «ليـس ثمـة اسـلحة اقـوى منهـا وهـي اقـصر الطـرق الى المجـد» [١١] فيقـول في جـمال خطـه واتقانـه علـوم القـران .

(( **وكان يَكتـبُ خَطَّـاً مليحـاً .... فلـمَّا حَضرتـه الوفـاة قـال:- في ذلـك الصُنـدوقِ مَسـاطرُ... ضَعوهـا تَحـت خَـدي في القـبرِ، ، مِنهـا خَتمـةٌ كبـيرةٌ كَتبهـا بالـذهبِ وكَتـبَ فِيهـا عُلـوم القُـرانِ ، قِراءاتـه ، وغَريبـه وعَربيتـه ،ونَاسِـخه ، ومَنسُـوخه ، وتَفسِـيره ، وسَـببِ نُزولِـه ، وفِقهِـه ، بالحِـبرِ ، والحُمـرَة ، والزُرقـة ، ....وباقـي الخَتـمات مُذهَّبـة الأعشـارِ ، والأخماسِ ، والآيـاتِ ، ورؤوس السـورِ والأجزاء** )) [١٢]، في حـين تذكـر المصـادر التاريخيـة* ان جـمال الخـط ومدارسـة العلـوم الدينيـة هـو اسـلوب حيـاة متبـع في الشـام ودمشـق ومتوفـر لأبنـاء العامـة مـن النـاس آنـذاك حتـى الايتـام منهـم ، بـل كانـت كتاتيـب المكتبـين تعلـم الكتابـة وتحسـين الخـط جنبـا الى جنب مـع الكتاتيـب القرآنيـة «فقـد انتـشرت هـذه الكتاتيـب وعمـت الشـام بالرغـم مـن ظهـور الكتاتيـب القرآنيـة» [١٣] فهـل تسـتحق ظاهـرة يشـترك بهـا عامـة النـاس ان يمتـدح بهـا الخاصـة مـن طبقـة الأُمـراء الذيـن يسـهل عليهـم جلـب المؤدبـين والمعلمـين والمكتبـين وهـل تسـتحق كل ذلـك الاطنـاب والمبالغـة في المـدح ، حتـى ان اسـامة نفسـه يتنبـه لأفراطـه

واستغراقه في ابراز صور والده إذ يقول: (( **فَما أَدْري كُنتُ أرَاه بِعَينِ المَحبَّة كَما قَال القَائِلُ وكُلُ مَا يفعلُ المَحْبوبُ مَحْبوبُ ؟ مَا أَدرِي أكَانَ نَظري فِيه عَلى التَحقيقِ)** [١٤] ويبدو انه بتلك الصورة لوالد يحاول ان يستمد القيمته الذاتية مما يقدمه من صور تنسجم مع المزاج العربي الذي يفترض هيبة الولد من هيبة الوالد ولهذا شكل الحديث عن الوالد بوصفه اخرا أمرا غاية في الصعوبة عند اسامة نفسه تفرضها ضرورة الانا التي تعيش في بيئة تخلق الاستعداد الايدولوجي لتذوب ذاته في الاب ، اذ ما عرفنا انه نال تربيته على يديه وهو معجب به ايما اعجاب غالبا ما يختلط فيه الواقعي بالمثالي او بتلك المبالغات التي تنحصر بصورها الانتقائية . فهو الفارس الشجاع الذي لا يشق له غبار، وهو الصياد الحاذق ، العالم بفنون الصيد واساليبه ، الخابر شعاب الفجاج والجبل وحركات الحيوان ، وهو المتدين الذي قضى عمره متعبدا مهتما بالقران وعلومه ، وهو الزاهد الذي اعتزل الملك والسياسة حتى تنازل عن الامارة لأخيه ابي العساكر[١٥] وهو اب حافظ لعياله وكرامتهم جميعاً ، فهو المدافع عن حرمات ارضه إذ يقول: (( **كان مشغوفاً بالصيدِ لهجاً بِه وبِجميع الجَوارحِ .... ليس له شغل سوى الحربِ ، وجهادِ الإفرنج ، ونسخ كتاب الله ... ، وهو صائم الدهر مواظب على تلاوة القران** )) [١٦] وهذا الكلام ردَّدَه محققو كتاب الاعتبار وكل من درس سيرة بن منقذ واحاط به ، لكن احدا لم يتنَبه قط ان ثَمةَ صورة اخرى تختبا في نصوصه إذ نجدها في حقيقية لامجال للتزويق وتحسين صوره فيها ، فهو يعبر عن خيبات امله بذلك الوالد حينما يكشف لنا في نصوصه نبرة عدم الاشفاق عليه وهو غرٌ صغير لا يتمثلها بلسانٍ ساردٍ للأحداث فقط ، وإنما يعبر عنها بضمير يخص الابن الذي يجد جفاءً وقسوةً وغلظة في الطباع من الاب وسلوكه إذ يقول : (( **ومَا رأَيت الوالد نِهاني عَن قِتالٍ ولا رَكوبٍ خطر، مَع مَا كَان يَرى فِيَ** )) [١٧] أي أنه مَا كَان يَراه فيه مِن صِغرِه وضعفه فهو يسائل عن

عدم نهيه ، وهو حديثٌ عَن ركوبِ المخاطرِ، فيقول: (( **ومرة كنت معه وهو واقف في قاعة داره واذا حية اخرجت راسها على افريز الدار ، فوقف يبصرها ، فحملتُ سلما ...اسندتُه تحت الحية وصعدتُ اليها وهو يراني فلا ينهاني ....وبين وجهي وبينها دون الذراع. وجعلت احزُ راسَها وخرجتْ التفت على يدي الى ان قطعتُ راسها** )) [١٨] فتظهر واضحة صورة الاب فهو يفرضها سطوة وهيبة فهو يشير الى ضمير الهاء الذي للتملك والذي يدل على الوالد في لفظ (( داره )) وكأنها دار مقصورة عليه فقط ، في حين لا يحرك ساكنا وهو يرى ولده يصعد الى الحية فلا ينهاه، ولا يخاف منها عليه ، وحين يذكر اسامة المسافة التي بينه وبين الحية باقل من ذراع يريد ان ينبه لمقدار الخطر الذي يمكن ان يحدق بولد صغير مثله وما يمكن ان يقدمه والد مشحون بكل هذا الكم الهائل من قيم الدين والرفق والعطف. وتحضر في ذاكرته تمثلات اخرى هي اسوء من سابقاتها تترك في نفسه مرارة وحيرة وتعجب من تصرف والده حين صار اسامة شابا فارسا قادرا على القتال *و قد تحولت صورة الوالد من سلوك عدم النهي عن المخاطر الى سلوك الحث على ركوب المخاطر ومواجهتها الى درجة التهور بعيدا عن رقابة العقل وسيطرته ، ويتضح ذلك من خلال سرده لحادثة الفرسان الإفرنج الذين جاؤوا من بيت المقدس لدفع الفدية فاعترضهم امير حماة في طريق عودتهم ليقاتلهم ولم يكن من الوالد الا ان يطلب من أُسامة مع فرسانه ان يلقوا بأنفسهم على الخيل المعترضة يقطعون الطريق على الاعداء وهو يأمره ان يتصرف تصرف الفدائيين فيرمي بنفسه رخيصة عليهم وكانه مستعد للتضحية به لأجل ان ينقذ فرسان الإفرنج والارمن من يد خيالة صاحب حماة فيقول ( **وكان عندنا بشيزر رهائن عن بغدوين ملك الإفرنج.... وفوا ما عليهم وارادوا الرجوعَ الى بِلادهم ، نَفذ خَير خان .صَاحب حمص خَيلا كَمنوا لَهم فِي ظَاهر شيزر ... خَرَجوا عليهِم أخَذوهم ووقَع الصَئح ...وجئت**

**انا فقال لي ابي: اتبعهم بمن معك ، وارموا انفسكم عليهم ، واستخلصوا رهائنكم ، فتبعتهم بعد ركض اكثر النهار واستخلصت من كان معهم وأخذت بعض خيل حمص ، وعجبت من قوله «ارموا نُفوسكم عَليهم )** [١٩] لم يعلق اسامة على ذلك واكتفى بالتعجب والاستغراب لان التعليق يضاعف اثر الصدمة ويفصل الانا عن ذلك الآخر القريب فصلا قاطعا فـ «يعادي الانسان من يعرف ويميل على من يرى ، ويناقض من يشاكل ، وعلى قدر الحب والقرب يكون البغض والبعد»[٢٠] فلو كان ذلك امرا من حاكم عسكري او قائد جيش ربما ستكون وطأته اقل في نفس اسامة من امر ابيه الذي يفترض به ان يقدم الاشفاق والتحذير على المغامرة بالنفس فيصمتُ أُسامة متعجبا متحيرا ازاء امر رميه نفسه على العدو مباشرة . ثم يستمر اسامة بالاستغراق بتلك التمثلات التي تتوالى فيها الخيبات وهو يسرد لنا تبادل ادوار الرفض والعناد بينه وبين ابيه لأوامر بعضهما البعض رغم عدم تحرجه من مناداته بكلمة «مولاي» التي تبدو خطابا مشحونا بالتبجيل والتحبب للملوك واصحاب النفوذ ولكنها ادت دورا مغايرا في خطاب أُسامة لأبيه تفصحُ عن احترام قسري ُمتكلف يتضحُ حين يستعملُ فعلين منفيين «وانت لا تركب ولا تسمع» يثبتان دكتاتورية الاب ورفضه الاستماع لراي اسامة مما اضطر الاخير_ وهو الدبلوماسي المحنك _ ان يدفع بكلمة مولاي لتخفف وطأة هذه الحقيقة ثم يرفض هو الآخر بدوره ان ينصاع لراي ابيه في تعلم علوم النجوم فيقول ( **وانَا الح عليه فِي رِكوبه حصَانه الى ان وَصَلنا البَلد وهو على بَغلته فلما عَاد اولئك وامَنا قلت : يا مولاي تَرى العَدو وقَد حَال بيننا وبين البلدِ وانتَ لا تَركب بَعض جنائبك ، وانا اخَاطِبك فلا تَسمع ...وكَان له اليَد الطولى في النُجومِ وكَان يُحرِّضني على مَعرِفة عِلم النُجوم فآبى وامتنع )** [٢١]

وحين يحرر اسامة ذاته من تبعيتها العائلية «وحق الامر والتوجيه من جانب الاب والطاعة العمياء والالتزام من دون مناقشة من جانب

الابناء»[٢٢] تبدو الصورة التي يقدمها عن الآخر، الوالد اكثر واقعية وهي تنفصل عن التمثلات المشحونة بعاطفة صلة الرحم والولاء للاب و تشير بوضوح الى حالة العنف الذي مارسه ابوه على الخادم «جامع» حين قطع يده الى المرفق فقط لأنه ابطا بتجهيز حصانه فيقول ( **وكَان لابي رِكابي يُقال له جَامع ، فَأغارَ الفرنج علينا ، فَلبس الوَالد كزاغندة* وخرج ليركب ....فلَم يَجد حصانه ، فَوصل جَامع الركابي بالحصان ، وقد ابطا ، فضربه الوالد بهذا السيف ... فقطع الجهاز والنعل الفضية وبشتا كان على الركابي وصوفية وعظم مرفقه فرميت يده** ) [٢٣] ومن يتصور بشاعة الامر سينصرف ذهنه حتما الى ما نقل من اخبار حول زهد الرجل وصلاحه وتقواه وكرم نفسه وسماحتها وهو سليل المجد والحسب [٢٤] وبتركيزه على سلوكيات العنف تلك يدون لنا صورة عدائية مع سبق الاصرار والترصد وهو يعد الاشياء التي قطعها ذلك السيف من جهاز، ونعل فضية وعباءة وصوفية كانت على الركابي وصولا الى مرفق الرجل التي رميت على الارض.

كما نجده يضمن صورة العنف تلك بشعور الهيمنة في ممارسات والده بوصفه صاحب سلطة وقدرة على عقوبة المُقصرين جميعاً في اي وقتٍ وتَحت ايَّ ظَرفٍ حين يؤكد اسامة على ( سوء استغلال السلطة وتوظيفها ) [٢٥] فهو يهم بين الحين والآخر بتأديب ياقوت مملوكه الذي ذاد عن عسكر بني منقذ يوما ما وكان صاحب الدين قد نسي ان جزاء الاحسان احسانا فيذكره اخوه ابو العساكر بذلك الامر، ويطلب منه ان يغفر هفوات الخادم ياقوت لأنه دافع عن عسكر بني منقذ حين تخاذل الفرسان ، يقول اسامة : (( **انَّ فلاحاً مِن العلاة جَاء يَركض الى ابي وعمّي ، قال : شَاهدتُ سُربة افرنج تائهين .. لو خرجتم اليهم أخذتموهم . فركب ابي وعمَّاي وخَرجوا بالعسكر الى السَربة واذا به صاحب طرابلس في ثلاثمئة فارس ومائتي (تركبولي) ، فلما راوا اصحابنا ركبوا خيلهم واطلقوا على اصحابنا هزموهم وتموا يطردونهم ، فاحرف عليهم مملوك لوالدي يقال له**

**ياقوت الطويل فطعن فارس منهم الى جانبه فارس اخر وهما يتبعان اصحابنا فرمى الفارسين والفرسين ، وكان هذا الغلام كثير التخليط والزلات ... فكلما همَّ والدي به وبتأديبه يقول عمي يا اخي بحياتك هَبْ لي ذنبه ولا تَنسَ له تلك الطعنة))** [٢٦] وزلات الموالي والمملوكين واردة وليس في ذاك عار للعبيد كما ان الزلل يعني اليسير من مخالفة الصواب ومجافاته ، يقابل ذلك استحلاف اخيه ابي العساكر وهو يتوسل اليه ان يغفر للمملوك ياقوت زلاته فيطلب الصفح له كلما هم والد اسامة بمعاقبته لأنه يعلم فظاعة العقاب الذي سينزلُه اخوه بخادم اقل ما يقال عنه انه وفيٌ وهو يضحي بحياتهِ من اجل مخدومهِ .

**٢- اعمامه واولاد عمومته :-**

ويرد ذكرهم ابان الحديث عن المواجهات في القتال واوقات الهدنة والسلم او عند ذكرهم فرسان الشجاعة اثناء الصيد والمنازلة مع الوحوش ، فقد جاء الحديث عنهم في مستويين :- الاول مستوى ذكر التمثلات الايجابية التي تأخذ طابعا مناقبيا حين يسرد الاحداث والمواقف التي جمعته بأعمامه واولادهم دون ان يعلق على الحادثة او الموقف ، ولا يبدي رايه بالسلب او الايجاب ، وكانه يريد ان يظهر واجبا اجتماعيا يفرضه الوعي الجمعي العربي في ضرورة احترام العم وعده بمكانة الاب فيقول (( **وكانا رحمهما الله من اشجع قومهما** )) [٢٧] ويبدو ان اسامة كان ذكيا بما فيه الكفاية ليتجنب منزلقا وثائقيا ربما يُحدث شرخا في تاريخ العائلة التي ورثت المجد والحسب والسماحة والفصاحة والفروسية والفراسة كابر عن كابر [٢٨] وهو يحاول ان يحفظ مكانة الآخر القريب و يلمعُ صورتَه ما امكنه ذلك فيقول : (( **وكنتُ اذا بعثني عمي رحمه الله لقتالِ اتراك او افرنج اقول لهُ يا مولاي مُرني بما اتدبر به اذا لَقيتُ العَدوَ ، فَيَقولُ يَا بُنيَّ الحربُ تدبِر نفسَها** )) [٢٩] فقد كان بينه وبين عمه ابي العساكر حاكم شيزر ودٌ كبير حتى اتخذه ولدا له واشركه في حروبه وكان يعدُهُ للإمارة من

بعده لكن الاحوال تبدلت حين رُزقَ عمُهُ بالأولاد وأخذ الحسد والحقد مكانه من قلبه وخشي على اولاده من أُسامة اذا انتهى الملك والحكم اليه من دونهم فأمره بالرحيل ومضى اسامة الى الموصل وكان هذا الامر خير له ولأخوته لانهم نجوا من الزلزال الذي ضرب شيزر وقضى على بني منقذ باسرهم [٣٠] لكن سرده الحكائي يأخذ بعدا اخر حين يكشفُ لنا نصهُ الاتي عن فكرتين الاولى :- انه يسندُ البطولة وقيادة الجيش وحمل الاسلحة والعسكر لنفسِه وهو في طريقهِ الى مصياث والعدو كامن في شيزر بينما يجر ابوه وعمُهُ الجنائب وهي لا تصلح للركوب .والصورة الأخرى خوف عمهِ الشديد على اسرته من الحر مما يدعوه ان يعرض اسامة للخطر حتى ينتقل بعيالاته الى مصياث حيث الهواء اللطيف والطبيعة الساحرة على سفوح الجبال فيقول : (( **وكان امرني ان أخُذَ امرَاته واولَاده وامضي اوصلهم الى حصن مصياث ، وكان يُشفقُ عليهم من حر شيزر ، فركبتُ وركب ابي وعمي رحمهما الله الى بعضِ الطريق وعادا وليس معهما الا المماليك الصغار لجر الجنائب ،وحمل السلاح والعسكر كلُهُ معي** )) [٣١] ثم يورد صورةً اخرى لعمهِ لا تحفظُ ما ادعاه لهُ من هيبة وسطوة في مصارعة الاسود وقتلها وهو يقدمُ الغلمان في مسيره لمغارة الاسد والشائع ان يتقدم الأُمير صاحب المَكان لخبرته وعدته لكن ما حصل هو العكس فيقول (( **ظهر عندنا سبُع ..فركبنا اليه .. فوجدنا غلاما يرعى فرسَهُ فقال لهُ عمي اين الاسد ؟ قال : في تلك الغلفاء ، قال: سِر قُدامي اليها قال: انت مقصودك ان يخرج الاسد يأخذني ؟ ومشى قدامَهُ فخرجَ الاسد، فأخذه، فقتلهُ** )) [٣٢] ثم يورد صورة نكران الجميل والتمرد والتكبر من قِبل عمه على الفارس جمعة النميري المعروف ببسالته واخلاصهِ لدمشق ومعسكر شيزر، وهو يطارد فارسين من الإفرنج ويحرر اسيرا مع دوابه كان الإفرنج قد اقتادوه ولم يستطع احد من خيل ابي العساكر تحريره او اللحاق بهِ الا الفارس جمعة النميري الذي

اغار عليهم فتوقفَ برهةً لمصادفته منخفضا في الارض ، استطاعَ بعدها ان يحرر الرجل ودوابه الا انه فوجئ بالتقريع والتنكيل من عم اسامة بدل الشكر والتمجيد ولم يرض عنه ابدأ لتوقفه للحظة من الزمن ، عند وصولهِ المنخفض، وتعليق اسامة واضح جدا لرفضهِ تصرف عمه مع الفارس جمعة وايراد جملة القسم التي تؤكدُ تأكيدا مطلقا استهجان اسامة واستغرابه فيقول (( **واما جمعة فوبخَه عمي وحردَ عليهِ لوقوفهِ عنهما اول ما وصلهما . فقال يا مولاي : خفتُ ان لا يكون لهم في الخورة رابية القرامطة كمين يخرج عليَ فلما كشفتها وما رأيتُ فيها احد استخلصتُ الرجل والبهيمة وطردتهما حتى دخلا عسكرهما . فلا والله ما قبل عذرَهُ ولا رضي عنهُ** )) [٣٣] ويبدو ان اسامة لم يستطع اخفاء صور الجفوة التي كانت بينه وبين اعمامه واولادهم فهو مع كل هذه الاشادة بهم ينقل لنا صورة الجبن وعدم النخوة عن سنان ابن عمه الذي ولد معه في اليوم نفسه ولم يباشر حربا ولا قتالا بينما يشيد اسامة بنفسه بانه قطب رحى الحرب وهي صورة للمقارنة بينه وبين ابن عمهِ سنان الذي حاول ان يأخذ كل ثمين من بيوت اهله ليهربَ من بطش الاسماعيلية الذين يهاجمون شيزر ليعيش بأمان في هذه الدنيا حتى اعترضته احدى النساء - وهي زوجة عمهِ - ومنعته من الهرب فيقول : (( **لقي في ذلك اليوم مقدم القوم علوان بن حزار ابن عمي سنان الدولة شبيب بن حميد في الحصن وهو تربي الا انه ما باشر الحرب حتى ذلك اليوم وانا كنتُ قطبها ، فاراد علوان اصطناعه ، فقال له ارجع الى بيتك ، احمل ما تقدر عليه ورُح لا تُقتل فالحصنُ قد ملكناه فرجع الى الدار وقال من كان له شيء يعطيني اياه يقول ذلك لعمته ونساء عمهِ فكل منهم اعطاه شيئا ..... واذا انسان دخل الى الدار فلما راه ايقن بالموت فوضع الخوذة فاذا هي ام ابن عمه ... قالت اي شيء تريد ان تعمل ؟ قال أخذ ما قدرتُ عليه وانزل الحصن بحبل واعيش في الدنيا قالت بئس ما تفعل تخلي**

**بنات عمك واهلك للحلاجين ... اي عيش يكون عيشك اذا افتضحت في اهلك وانهزمت عنهم ، اخرج قاتل عن اهلك حتى تقتل بهم فعل الله بك كذا وكذا))** [٣٤] والجدير بالذكر ان اسامة هنا ينبه لأمرين اثنين الاول ان نساء بني منقذ يلبسن عدة الحرب ويقاتلن كالرجال ،وهذه صور شجاعة يحاول اسامة إيصالها عن المغاير بالجنس الذي سيرد الكلام عنه ، وما يعاكسها من صور ابن عمِّه سنان الذي ارتعدت فرائصه عند دخول زوجة عمِّه ، لابسة عدة الحرب ، فظنها فارس من فرسان الاسماعيلية والامر الآخر انه يترفع عن ذكر السُباب والشتم واللعن بالنص ويكتفي بذكر كلمة، يا كذا وكذا على الرغم من انه يسجل كل شيء في سرده الحكائي ، وهذا ينطبق على النصوص التي ورد فيها اللعن والشتم جميعاً ، كما ينطبق على ديوانه الذي يمثل سيرة ذاتية اخرى وهو يحصي به اغلب ما مر به من احداث [٣٥] ففي النهاية هو يوفر على المؤرخين والمهتمين بالسير مهمة الحديث عنه بالنيابة خاصة اذا ما عرفنا ان اهل السياسة يكتبون سيرهم لينفوا عن انفسهم تهما قد لحقت بهم او بمن يخصهم من المقربين ، او يحاولون نسب المجد لأنفسهم عبر احداث لم يشاطرهم بها احد ، خاصة تلك التي تكتب بعد بلوغ الانسان عتيا ، فإنها تتشكل وفق ما يريدُ صاحبها ، لا وفق الفاعلية الانية للحدث .

**٣- القريب المغاير بالجنس :** -

يقدم بن منقذ في كتاب الاعتبار صور مغايرة عمَّا جُبل عليه المجتمع العربي من هيمنة ذكورية وتربية دينية ملتزمة تنظر الى الآخر المغاير بالجنس نظرة الضعف والعجز فهو حين يصل بسرده الحكائي عن حكمة جدته لوالده او شجاعة امه او طيبة واخلاص تلك المربية العجوز التي لازمتهم ما يقارب قرنا من الزمن لا ينكرُ احد عليه ذلك او ينعته بالتحرر من بعض ضوابط العرف والتقاليد ولا يصفه بالمنحاز الى النساء من اهله ، فقد الف في اخبار النساء واستفاض في الحديث عما نقل في هذا الباب

من تراجمهن وصفاتهن واجمل ما قيل فيهن من شعر وذكر شجاعة النساء وزهدهن وحكمتهن وحسن الراي والتدبير عندهن كما ذكر انواع النساء الصالحات وفصل في ذلك تفصيلات عدة في كتابه هذا كتاب اخبار النساء [٣٦] فهو يرى في جدته لأبيه الحكمة وحصافة الراي ولا يجد حرجا من الأخذ بنصحها وارشادها وهي تحذره بان لا يظهر كل هذا القدر من الشجاعة والاقدام امام عمه ابي العساكر كي لا ينفر قلبُ الاخير منهُ وهو يصفُ نصحَها هذا بالصدق لأنها تنبأت بتبعات هذا البغض بعد الفرقة التي وقعت بينهُ وبين عمهِ ابي العساكر اضطرتهُ الى مغادرة دمشق متوجها الى الموصل فتبدل الودُ كدرا واللُحمة فرقةً وسبب ذلك ان ابا العساكر لم يُرزق بأولاد ذكور فربى اولاد اخيه مرشد وميزَ اسامةَ عنهم وقربَه وكان يَعدهُ للأمارة من بعدهِ ولكن الحال تبدلت حين رُزقَ عمُه ابو العساكر بأولاده الذكور فيقول: (( **وما يُنكَر للنساء الكرام الانفةَ والنخوةَ والاصابة في الراي ، وقد خرجتُ يوما من الايام مع الوالدِ للصيد ..... واذا غلام جاء يركض ، هذا الاسد ..... فمَا كَان لي فِيهِ حِيلة الَّا صَعَدتُ في سَفحِ الجَبلِ ثُم حَدرتُ حُصَاني عليهِ فطعنتُهُ ... فتقلبَ الى اسفل الجبل والرمح فيهِ فمات الاسد وانكسر الرمحُ وحملنا الاسد ودخلنا البلدَ العشاء واذا جدتي لابي رحمها الله قد جاءتني في الليل وبين يديها شمعة وهي عجوز كبيرة ، فما شككتُ انها جاءت تُهنئني بالسلامة ، وتُعرفني مسرتَها بما فعلت فقالت لي بغيظٍ وغضب :- يا بُني ايش يحملك على هذه المصائب التي تخاطر فيها بنفسِك وحصانِك وتكسرُ سلاحك ويزدادُ قلبُ عمِك منكَ وحشة ونفورا ...فعلمتُ انها نصحتني في قولها وصدقتني ولعمري انهن امهاتُ الرجال** )) [٣٧] كما انه يصفُ صلاحها وتقواها وصلاتها وصدقتها بأجمل طريقة فيقول: (( **ولقَد كَانت هَذِه العَجوز رحمها الله من صالحي المسلمين ، من الدينِ والصدقةِ والصوم والصلاة على اجمل طريقة** )) [٣٨] ويقدم لنا

اسامة صورة جديدة لشجاعة اهم امرأةٍ في حياته – والدته – التي يصف مرؤتها وعزيمتها بأشد من عزيمة الرجال وهي تؤثرُ قتلَ ابنتها على ان تراها مأسورةً بيد الباطنية من الاسماعيلية فيقول: (( **وجاءت الى اخت لي ، وقالت :- البسي خُفكِ وازاركَ ، فلبستْ ، وأخذتها الى الروشن .في داري يشرفُ على الوادي من الشرق ، أجلستْها عليهِ ، ..... ودخلتُ داري أطلبُ شيئاً من سِلاحي ... قُلتُ :- فَأختي أيَ شيءٍ تَعمل هَاهُنا ؟ قَالتْ أجلستُها على الرَوشنِ ... إذا رَأيتُ البَاطنيةَ قد وصَلُوا إلينا دَفعتُها رَميتُها في الوَادي ، فاراها قد ماتت ولا اراها مع الفلاحين والحلاجين ماسورة .... فهذه النخوة اشد مِن نَخواتِ الرِجَال** )) [٣٩] ولا يستثني اسامة جاريةَ جده وهو يستمر باستعادةِ ذكريات الواقعة مع الاسماعيلية اشارةً منه الى شجاعة جاريات هذه الاسرة فيقول : (( **وتَلثَّمتْ فِي ذَلكَ اليَومِ عَجوزٌ مِنَ جَواري جَدي الأُمير أَبي الحسنِ علي ، يُقالُ لَها فُنونٌ فَأخذتْ سَيفاً وخَرَجتْ إلى القِتالِ ومَازالتْ كَذلك حَتَّى صَعدنَا وتَكاثرنَا عَلَيهم** )) [٤٠] ولعل اختلاف اسامة عن وسطه الاجتماعي في إقراره بفضل المرأة والاشادة بها متات من كثرة احتكاكه مع الآخر المشابه له في الجنس وانغماسه بخوض الحروب والمعارك وعلاقاته بدهاة السياسة جعل منه ذاتا تتوق الى السكينة والدعة والحنان وقد وجد ذلك في صورة المرأة القريبة منه حتى جاءت تمثلاته عنها ايجابية تنم عن نفس عالية وهمة رفيعة في احترام الآخر المغاير في الجنس وهو لا يغبن حق الجارية لؤلؤة التي ربت اباه مرشد بن علي بن مقلد ثم ربت اسامة وانتقلت معه الى داره فربت اولادَه وكان يناديها يا امي فيقول في وصفها (( **وكَانتْ رَحِمَها اللهُ مِن النِسَاءِ الصَالحات صوامة قوامة** )) [٤١] .

**٤ـ القريب المُستحسَن :**

ارتبطت صورة القريب المستحسن باهله من الزوجة والاولاد الذين لم يذكرهم صراحةً بل ذكرهم خلال تنقلاته وترحاله من مكانٍ الى اخر او اثناء حديثه النفسي بينه وبين نفسه

فيما يشبه المونولوج الداخلي، فهو يتمثلُ في صورهم ذاتَهُ الخاصة ، ضمن تبادل الآخر الـ (هم) بالانا في حدود الذات المسؤولة عن حمايتهم ورعايتهم ، فيكون استحسانه لهم مما يسديه اليهم من مشاعر الحب والخوف والاشفاق ورفضه فكرة تعرضهم للأذى باي شكل من الاشكال فيقول: (( **وعَجزَتْ عَن حَمل أهلي فَرددتُهم مِن بَلبيس إلى المَلكِ الصَالحِ طَلائع بن زَريك فَأحسَن إليهم وأنْزَلهم في دَار وَأَجرى لهم ما يَحتاجونه** )) [٤٢] وتشتد حمية اسامة حين يستشعر تعرض اهله - ذلك الآخر الذي يستحسنه بالفطرة - الى اي سوء او خطر ويحاول الدفاع عنه ما مكنه ذلك فنراه يلعن ويدعو بالثبور على بغدوين وهو البعيد عن نقل الشتم والسباب حين حاول ان ينقل اهله عبر سفينة من مصر الى الشام فأخذ الامان لهم من بغدوين ملك الإفرنج ان لا يعترض مركبهم احد لكن الإفرنج نكثوا عهدهم لأُسامة وتعرضوا للمركب وثقبوه وفتشوا النساء وأخذوا كل ما معهم من اموال وجواهر وكتب نفيسة وكان اسامة ينتظرهم في ضيافة الملك العادل نور الدين بن زنكي في حلب . لكن ثمةَ تساؤل يطرح نفسه لو ان بغدوين ملك الإفرنج كان قد اوفى بوعدهِ لإسامة وحفظ عياله وماله ، هل سينقل لنا عنه مثل هذه التمثلات التي صورته بصورة الخائن الذي لا مروءة له ولا عهد وهو ينهب ويسرق انفس ما يحملون وفيها كتب اسامة الخاصة التي تركت في نفسه حزازة لا تهدا وتفتيشه النساء خاصة. تحيلنا كل تلك الأُمور الى ان اسامة رسم لنا صورة بغدوين بمخيلة الانا الذي اعتدي على حُرماته في وقت مخصوص من الزمن لأنه يذكر في مكان اخر من الاعتبار انه كان يتردد عليه في الصلح بينه وبين جمال الدين بن تاج الملوك لفضل كان لأبيه مرشد على بغدوين وهذا يعني انه كان على علاقة طيبة معه فيقول : (( **كُنتُ أتردد إلى مَلكِ الإفرنج في الصُلحِ بَينَه وبَين جَمالِ الدِينِ مُحمد بِن تَاجِ المُلوكِ رَحِمَهُ اللهُ لِيَد كَانتْ للوَالدِ عَلى بَغدوين**

**الملك ))** [٤٣] لكن - انا - اسامة سرعان ما تتغير تجاه الآخر وتتحول الى ذات عدوانية منتقمة من الآخر اذا حاول ذلك الآخر الاساءة للقريب المستحسن من اهله فهو يمثل في بعده الآخر ذات أُسامة ويعكس ذاك التطابق بينه وبين اسرته. لذا يعمد الى الشتم كنوع من التعويض الايهامي او البديل الانتقامي الذي يلجا اليه في مخيلته اثناء السرد فيقول : (( **فَلمَّا دَنو مِن عَكا والمِلك - لا رَحمَه اللهُ - فِيها .... وأنزَلَهم لَعَنه اللهُ وفَتَّشَ النِساء حَتى أخذَ كُلَ مَا مَعَهم .... وكُنتُ إذ ذَاك مَع المَلك العَادل فَهون عليَّ سَلامة أولادي وأولاد أخِي إلا ما ذهب لي من الكتب ... فَان ذَهابها حَزازةٌ في قَلبي مَا عِشتُ ))** [٤٤] لكن الامر مختلف مع ذلك الآخر المستحسن من اخوته الذي أخذ الحديث عن استحسانه لهم طابعا مناقبيا يشهدُ لهم بالمجد والشرف وهو اقرب الى اسلوب المدح منه الى ايراد الخبر فيقول : (( **وجَاءني بَعد مُدةٍ كِتابُ المُلكِ العَادلِ يَستدعينِي ، فَسرتُ إلى مِصر وبَقِي أخي عِزُّ الدَوَلةِ أبو الحَسنِ ، بِعَسْقَلان ، فَخرَجَ إلى قِتَالِ غَزَّة فاستَشهدَ رَحِمه اللهُ وكَان مِن عُلماءِ المُسلِمين وفُرسانِهم وعِبادِهم ))** [٤٥] وحين يورد اسامة ضمير الـ (هو) يريد ان يشكل ذاته عبر اثبات هوية النسب لهذ الآخر المتفق معه بالانتماء للرحم نفسه ، فيورد اسمه كاملا وكنيته ويؤكدها بـ كلمة (اخي )، ولا يتفاقم احساس الانا عند اسامة بذلك الآخر المستحسن القريب الا في ذكره لأخوته وهو الانصهار الذي صوره من جوهر العلاقة القائمة بين (اناه ) والـ (هو ) الغائب عنه [٤٦] يصوره بصورة الشجاع المتسامي عن الدنيا فيقول : (( **وكَان أخي عِزُ الدَولَةِ أبو الحَسنِ عَلي رَحِمه اللهُ في جُملةٍ مَن سَار مَعي مِن دِمَشق هُو وأصحابه إلى عَسقلان وكَان رَحِمه اللهُ مِن فُرسَان المُسلِمين ، يُقاتل للدِين لا للدُنيا ))** فيعكس صورة الفضيلة والشجاعة في تمثلاته عن اخيه الذي رافقه صيدَه واسفاره وحروبه حتى انتقل الى جوار ربه.

**٥- القريب المتعجب منه :**

إن القاعدة العامة في السلوك تفترض

أن لا يتعجب المرء ممن اعتاد عليهم لان تكرار السلوك نفسهِ امام الآخرين سيتحول الى نظام من الممارسات المعتادة يألفه الآخر عمن هم حوله فلا يثير تصرفه العجب ولا الغرابة ولكن الناس (( يتعجبون او يمتعضون حين يرون غيرهم يختلفون عنهم في مظاهر السلوك والتفكير... فكل انسان راضٍ عن نفسه على نحو ما )) [٤٧] ؛ ولهذا يمكن ان يعد تعجب اسامة من عمه **الذي** رافقه وعرف كل شاردة وواردة **عن** طبعه من باب رضا اسامة عن نفسهِ واستهجانه لعمه ابي العساكر لأنه لا يعقل ان يخاف من شيء لا تخاف منه حتى الصبيان ولا النساء ، فهو يرتعد خوفا من الفارة ويتغير وجهه ويلحقه اشبه ما يكون بهستريا ترتعد فيها فرائصه ويتغير لون وجهه حتى يقوم من موضعه فيقول : (( **ومن عَجائِب القُلوب أن الإنسانَ يَخُوضُ الغَمراتِ ويَركب الأخطار ... ويُخاف مَا لا يُخاف مِنه الصِبيَان و لا النِسوَان ...ولقد رَأيتُ عَمي عِزَّ الدِين أبا العَسَاكرِ وهُو إذا رأى الفَار تَغيَّرت صُورة وجهه ولَحقه كَالزمع مِن نَظرها وقَام مِن المَوضع الذي هي فيه** )) [٤٨] وحين يدخل بتعجبه مساحة الانبهار والزهو يذكر صنيع والده مع اهل الجبل في شيزر فقد اتفق معهم ان يتركوا معايشهم وزراعتهم وان يعملوا في مواضعهم مصايد للبزاة فوهبهم المال وكساهم واتفقوا معه على ثمن كل فرخ يصطادونه لأبيه فيقول : (( **فَقرَّر ثَمن الباز الفرخ خَمسة عَشَر دِيناراً ،وثَمنِ الزَرق الفَرخ نِصفها ، وثَمن البَاز المُقرنص عَشَرة دنانير وثَمنُ الزرق المُقرنص نِصفُها بِغيرِ كُلفة ولا تَعبٍ إنَّما يَعمل له بَيتاً مِن الحِجارة على قَدر خِلقته** )) [٤٩] ويتضح منه تعليقه على الحادثة تعجبه من حب ابيه للبزاة وكثرتها عندهم وانفاق كل تلك الاموال التي حصل عليها اهل الجبل دون كلفة او مشقة .

**الخاتمة :**

يمكن أن نستنتج مما سبق ان اسامة في كتاب الاعتبار حاول جاهدا ن يوصل فكرة الاخر القريب بأحسن صورة ممكنة وهو يوفر على

المؤرخين والمهتمين بسِير أسر بلاد الشام البحث في مضان الكتب والمؤلفات لأخذ المعلومات عنهم لكن القراء الإسقاطية التي قرأنا بها صورة القريب وكيف تمثلها اسامة أفصحت كثيرا عن الكشف عما لم يقله النص فقد كان سرده الحكائي البسيط يحمل في طياته كثير من مواقف تداعي القص الحر الذي فرضته طبيعة الحدث او الموقف ، ولقد لعب الجفاء الذي كان بينه وبين أعمامه واولادهم دورا مهما في ابراز صورهم عنده بهذا الشكل ، بينما نجده وهو الذي تربى تربيةً دينية صارمة قد تعامل على احسن وجه مع صورة المرأة التي تمثلت بأمه وجدته واخته وجواري أسرته فقد أظهر صورتها غاية في الاقدام والشجاعة ، أما القريب المتعجب منه فقد أخفى في طياته استهجانه المبطن لبعض المواقف وعدم رضاه عنها ، فاسامة الذي يوصف في الحنكة والتدبير وحصافة الرأي لم يشأ أن يسجل اي شيء يشير بوضوح تام الى الحط من شانها أو الاساءة لها .

**الهوامش :**

١- ينظر : اسامة بن منقذ بطل الحروب الصليبية ، جمال الدين الألوسي ، مطبعة اسعد ، بغداد ، ١٩٦٧

٢- ينظر الجذور والثمرة الاستلهام والحضور في تجربة علي الامارة ، مطابع أمل الجديدة ، سوريا حلب ، ط١، ٢٠٢١، ٤٠

٣- الرحالة المتأخرون ، الاستشراق في عصر التفكك الاستعماري ،علي بهداد ، تر، ناصر مصطفى ابو الهيجا، ٥٩

٤- ينظر : البعد الجغرافي وصورة الآخر . مقاربة امبريقية ، مصطفى عمر التير ضمن كتاب الآخر العربي ناظرا ومنظورا اليه : اعداد الطاهر لبيب ، ٤١٩،

٥- الاعتبار: اسامة بن منقذ ، تح ، عبد الكريم الاشتر ، ٢٦١

٦- ينظر : استراتيجية الاعتبار في السيرة الذاتية ، د، يسرى التمراوي ،مجلة انساق ، م٢، ع١، ٧٣

٧- ينظر : الثقافة والشخصية ، سامية حسن الساعاتي ، ط٢، مركز الكتب الثقافية ، ١٩٨٣، ٢٢٤

٨- الاعتبار : ١١٧

٩- نفسه : ٣٠٣

١٠- نفسه : ٢٩٥

١١- الحركات والاحزاب الاسلامية وفهم الآخر : صالح زهر الدين ، ، ١١٨

١٢- الاعتبار : ١٩١

* يذكر ابن جبير في رحلته عند وصوله لدمشق ( ان تعليم الصبيان للقران في هذه

البلدان المشرقية انما هو تلقين. ويعلمون الخط في الاشعار ....وقد يكون في اكثر البلاد . الملقن على حدة والمكتب على حدة ، فينفصل من التلقين الى التكتيب ولذلك ما يتاتى لهم من حسن الخط ، لأن المعلم له لا يشتغل بغيره ) دار الكتاب اللبناني ، ١٩١

١٣- التربية والثقافة العربية الاسلامية في الشام والجزيرة العربية خلال القرون الثلاثة للهجرة : ملكة الابيض ، ٣٦٣

١٤- الاعتبار ، ٣٠٣

١٥- ينظر : كتاب الروضتين في اخبار الدولتين ،النورية والصلاحية ، شهاب الدين عبد الرحمن ابو شامة ، تعليق ، ابراهيم شمس الدين ، ٣١٩

١٦ (١٦) الاعتبار : ٢٩٥

١٧- الاعتبار ، ١٨٤

١٨- نفسه :١٨٥

١٩- الاعتبار : ١٨٤

٢٠- ثلاث رسائل للجاحظ :. الجاحظ ، ١٣

٢١- الاعتبار : ١٢٣

٢٢- الأنا وجحيم الآخر، ديناميات العنف في المجتمعات المتشظية : ثامر عباس ، ٢٢٢

* لفظ فارسي ومعناه سترة سميكة تشبه الدرع

٢٣- الاعتبار ،٢٠١

٢٤- ينظر في ذلك على سبيل المثال لا الحصر : تاريخ الاسلام ، الذهبي ، ج، ١١، ٥٥٦ ، وخريدة القصر : عماد الدين الاصفهاني ، ٢٣٣

٢٥- الخطاب والسلطة : فان دأيك ، ترجمة غيداء العلي ، ٦٠

٢٦- الاعتبار : ١١٦، ١١٧

٢٧- نفسه : ١٢٢

٢٨- ينظر : شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، العماد الدمشقي ، ج٦، ٤٥٩

٢٩- الاعتبار : ٢٤٠

٣٠- ينظر الحياة الادبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام : احمد احمد بدوي ، ١٧٣

٣١- الاعتبار : ٢٤٠

٣٢- الاعتبار : ١٨٧

٣٣- نفسه: ١٣٥

٣٤- الاعتبار : ٢١٠

٣٥- ينظر : ديوان اسامة بن منقذ ، تح، احمد أحمد بدوي

٣٦- ينظر: هذا كتاب اخبار النساء ،لاسامة بن منقذ ، تح محمد عُزير شمس ، ضمن بحث منشور في مجلة مجمع اللغة ، دمشق ، ج ٢ ، ع٦٥

٣٧- الاعتبار ، ٢١٢، ٢١٣

٣٨- نفسه : ٢١٣

٣٩- نفسه : ٢١٠

٤٠- نفسه : ٢١١

٤١- نفسه : ٢٩٠

٤٢- الاعتبار : ٨٥

٤٣- نفسه : ١٥٧

٤٤- الاعتبار : ٩٦

٤٥- نفسه : ٧٢، ٧٣

٤٦- ينظر: التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر ، احمد

ياسين السليماني، ٤٨٨

٤٧- الطبيعة البشرية : علي الوردي ، ، ٣٤

٤٨- الاعتبار : ٢٣٢

٤٩- نفسه . ٣٠٥

## المصادر:


- اسامة بن منقذ بطل الحروب الصليبية ، جمال الدين الألوسي ، مطبعة اسعد ، بغداد ، ١٩٦٧م

- نظر الجذور والثمرة الاستلهام والحضور في تجربة علي الامارة ، مطابع أمل الجديدة ، سوريا حلب ، ط١، ٢٠٢١م .

- الرحالة المتأخرون ، الاستشراق في عصر التفكك الاستعماري ،علي بهداد ، تر، ناصر مصطفى ابو الهيجا،هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة / أبو ظبي / ط١ / ٢٠١٣م

- البعد الجغرافي وصورة الآخر . مقاربة امبريقية ، مصطفى عمر التير ضمن كتاب الآخر العربي ناظرا ومنظورا اليه : اعداد الطاهر لبيب .مركز دراسات الوحدة العربية ، لبنان ، ٢٠٠٨م

- الاعتبار: اسامة بن منقذ ، تح ، عبد الكريم الاشتر .المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٣م

- استراتيجية الاعتبار في السيرة الذاتية ، د، يسرى التمراوي ،مجلة انساق ، م٢.

- الثقافة والشخصية ، سامية حسن الساعاتي ، ط٢، مركز الكتب الثقافية ، ١٩٨٣م .

- الحركات والاحزاب الاسلامية وفهم الآخر : صالح زهر الدين .دار الساقي ، بيروت ،ط١، ٢٠١٢م

- كتاب الروضتين في اخبار الدولتين ،النورية والصلاحية ، شهاب الدين عبد الرحمن ابو شامة ، تعليق ، ابراهيم شمس الدين .دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٨م

- ثلاث رسائل ، الجاحظ . تحقيق : عبد السلام هارون ، دار الخانجي ، القاهرة ،

- الأنا وجحيم الآخر، ديناميات العنف في المجتمعات المتشظية : ثامر عباس .

- الخطاب والسلطة : فان دأيك ، ترجمة غيداء العلي .المركز القومي للترجمة، مصر ، ط١ ، ٢٠١٤م

- شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، العماد الدمشقي ، دار ابن كثير ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٦م

- الحياة الادبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام : احمد احمد بدوي ، مكتبة النهضة ، مصر ، ١٩٥٢م

- ديوان اسامة بن منقذ ، تحقيق: احمد أحمد بدوي ، المطبعة الاميرية ، القاهرة ، ط١، ١٩٥٣م

- هذا كتاب اخبار النساء ،لاسامة بن منقذ ، تح محمد عُزير شمس ، ضمن بحث منشور في مجلة مجمع اللغة ، دمشق .١٩٩٠م

- التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر ، احمد ياسين السليماني، دار جليس الزمان ، سوريا ، ٢٠٠٩ م

- الطبيعة البشرية : علي الوردي .المكتب الوطنية الأردنية ، الأردن ،ط١، ١٩٩٦م

## Reference:


-Usama ibn Munqidh, the Hero of the Crusades. Jamal al-Din al-Alousi. Asaad Press, Baghdad, 1967.

-"Examining Roots and Yield: Inspiration and Presence in Ali al-Amara's Experience." Amal al-Jadeeda Press, Aleppo, Syria, 1st ed., 2021.

-"The Late Travelers: Orientalism in the Era of Colonial Disintegration." Ali Bahdad, translated by Nasser Mustafa Abu Alheija, Abu Dhabi Tourism and Culture Authority, Abu Dhabi, 1st ed., 2013.

- Al-Tayr, Mustafa Omar Al. "Geographical Distance and the Image of the Other: An Impractical Approach." In The Arab Other: Examining and Reflecting on Him, edited by Tahir Labib. Arab Unity Studies Center, Lebanon, 2008.

- Al-Ishtir, Abdul Karim, editor. "Consideration: Usama ibn Munqidh." Islamic Office, Beirut, 2nd ed., 2003.

- Al-Tamrawi, Dr. Yusra. "The Strategy of Consideration in Autobiography." Ansak Journal, no. 2.

- Al-Saati, Samia Hassan. "Culture and Personality." Cultural Books Center, 2nd ed., 1983.

- Zahreddine, Saleh. "Islamic Movements and Parties and the Understanding of the Other." Dar al-Saqi, Beirut, 1st ed., 2012.

- Abu Shama, Shihab al-Din Abdul Rahman. "The Book of the Two Gardens in the Chronicles of the Nuririya and Salahiya States." Commentary by Ibrahim Shams al-Din. Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, 1st ed., 2008.

- Al-Jahiz. "Three Letters." Edited by Abdul Salam Haroun, Dar al-Khanji, Cairo.

- Abbas, Thamer. "The Self and the Hell of the Other: Dynamics of Violence in Fragmented Societies."

- Van Dijk, F. "Discourse and Power." Translated by Ghaida Al-Ali, National Center for Translation, Egypt, 1st ed., 2014.

- Al-Dimashqi, Al-Imam. "Gold Fragments in Golden News." Dar Ibn Kathir, Beirut, 1st ed., 1986.

- Badawi, Ahmed Ahmed. "Literary Life in the Era of the Crusades in Egypt and the Levant." Nahda Library, Egypt, 1952.

- Ibn Munqidh, Usama. "Diwan of Usama ibn Munqidh." Edited by Ahmed Ahmed Badawi, Al-Amiriya Press, Cairo, 1st ed., 1953.

- Ibn Munqidh, Usama. "This is the Book of Women's News." Edited by Muhammad Azir Shams. Published in a research paper in the Journal of the Language Association, Damascus, 1990.

- Al-Suleimani, Ahmed Yassin. "Artistic Manifestations of the

Relationship between Self and Other in Contemporary Arabic Poetry." Jalees Al-Zaman, Syria, 2009.
- Al-Wardi, Ali. "Human Nature." Jordan National Office, Jordan, 1st ed., 1996.